



## أفغانستان وصعود طالبان

محمد عادل - مصر

كاتب وباحث سياسي - سكرتير تحرير التقرير الارتياذي للبيان

### ملخص البحث:

سارع الاحتلال الأمريكي لأفغانستان منذ اليوم الأول -منطلقًا من مصالحه الاستراتيجية- في تنفيذ المخططات المقررة لعلمنة البلاد، والسير بها بعيدًا عن هويتها المحافظة. وفي المقابل تشكّلت فصائل المقاومة الأفغانية من مجموعات متباينة الدوافع والتوجهات، جاء على رأسها المجموعات الجهادية التي تحركت من منطلقات ودوافع شرعية. وشهدت السنة الخامسة للاحتلال عددًا من التحركات الهامة لطالبان، عكست رغبة قوية من الحركة في تغيير كفة الميزان العسكري لصالحها، مما أدى لتصاعد مشروع المقاومة بصورة لافتة. وبالنظر في الأهداف التي تم تحديدها للحملة الأمريكية على أفغانستان، وعلى رأسها القضاء على طالبان وتنظيم القاعدة؛ فلم يتحقق منها بعد خمس سنوات ما يمكن أن يشير لأي نوع من النجاح. ولم يقتصر الفشل على عدم تحقيق الهدف الأكبر للحملة من القضاء على طالبان والقاعدة، بل تعدى ذلك لصور متنوعة من الفشل؛ ترجع في أساسها إلى فشل الاستراتيجية الأمريكية والحكومة الأفغانية العميلة في تحقيق أيّ استقرار سياسي، أو تقدم اقتصادي أو أمني. ومع ارتفاع الخسائر في صفوف قوات الاحتلال -وضمنها قوات الناتو التي بدأت تتواجد في الأماكن الساخنة في الجنوب- فإن القدرة على الاستمرار في تحمّل المزيد من الخسائر سيضعف. كما تقوّي العديد من العوامل التوقع بتصاعد المقاومة، وترتبط تلك العوامل -في غالبيتها- ببنية الحركة وتكوينها الداخلي، تدعمهما العديد من العوامل الخارجية. وتواجه الحركة إشكالات عدة قبل وصولها للدرجة التي تنجح معها في إجبار الاحتلال على الانسحاب، يأتي على رأس تلك الإشكاليات الارتباط بالقاعدة، وتشرذم فصائل المقاومة. وإذا كان من الصعب على طالبان عسكريًا تحقيق نصر كبير يُجبر قوات الاحتلال في ظل الوضع الحالي على انسحاب قريب، إلا أنه من الصعب أيضًا على الاحتلال أن يتحمل مزيدًا من الخسائر إلى ما لا نهاية.



## أفكار ومقتطفات

- تشكلت فصائل المقاومة الأفغانية من أطياف متنوعة، تتباين دوافعها وتوجهاتها، يأتي على رأسها المجموعات الجهادية التي تنطلق من منطلق شرعي بضرورة مقاومة المحتل، وطرده، وإعادة الحكم الإسلامي، ويأتي على رأس هذه المجموعات: طالبان، والحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار، وبجانب هؤلاء يوجد مجموعات أخرى تحركت ضد الاحتلال؛ لدوافع وطنية أو قَبَلِيَّة من منطلق مقاومة المحتل، ورد الاحتلال الذي خرج على أعراف المجتمع المحافظ، بما يسعى إليه من تغريب المجتمع، ونشر الرذيلة بين أبنائه؛ إضافة لمن انضم للمقاومة بسبب تردي الأوضاع في البلاد.
- إن ما يحدث في أفغانستان بعد خمس سنوات من الاحتلال لا يمكن بحال وصفه بأنه مجرد عمليات عسكرية محدودة، بل الأمر يبدو تعدى ذلك إلى ما يمكن أن نصفه بأنه انطلاق عسكري قوي وصعود منظم لطالبان في الساحة الأفغانية.
- وسَّعت طالبان نفوذها خارج مناطق نفوذها المعتادة في الجنوب، ومددت نشاطها من الجنوب إلى الغرب والشرق والشمال الأفغاني؛ بقصد إضافة المزيد من الهشاشة على الوضع الأمني المتردي، كي تمثل عبئاً إضافياً تتحمل تبعاته حكومة قرضاي، فضلاً عن أن الضغط على قوات الاحتلال بتوسيع دائرة العمليات العسكرية يعني مزيداً من الخسائر التي يصعب تحملها.
- بالنظر في الأهداف التي تم تحديدها للحملة الأمريكية على أفغانستان، وعلى رأسها القضاء على طالبان وتنظيم القاعدة، والقبض على الملا عمر، وأسامة بن لادن، فلم يتحقق منها بعد خمس سنوات ما يمكن أن يشير لأي نوع من النجاح.
- حالكٌ هشاشة الوضع السياسي الراهن دون إحراز تقدُّم كافٍ في العملية الديمقراطية والإصلاح؛ لأن الحكومة المركزية لازالت تفتقد الشرعية في ظل غياب جيش وطني قوي، فضلاً عن فشلها في القيام بوظائفها الرئيسية: في تحقيق الاستقرار، وتقديم الخدمات الأساسية للأفغان؛ بسبب نقص الموارد المالية، وعدم القدرة على فرض السيطرة الأمنية.
- رغم وعود التغيير ومؤتمرات إعادة الإعمار التي منحت أفغانستان على الورق عدة مليارات لإعادة الإعمار، إلا أن عملية إعمار حقيقي - تشمل تأسيس بنية اقتصادية قوية، وتنوع مصادر الدخل الوطني، ورفع مستوى المعيشة - لم تبدأ بعد.
- الوضع العسكري لقوات الاحتلال في أفغانستان يؤكد صعوبة القضاء على المقاومة، أو تحقيق انتصار عسكري حقيقي؛ خاصة في ظل الوضع الشعبي الذي تحول بقوة تجاه المقاومة، فضلاً عن أن الوضع الجغرافي، وما يحويه من تضاريس جبلية، يشكل عائقاً كبيراً لا يسمح بتحقيق النصر لقوات نظامية

تواجه مجموعات مسلحة تستخدم أسلوب حرب العصابات، وتتواجد في الكهوف والجبال، ولا تتحرك عادة من مواقع ثابتة.

- المشروع الأمريكي يقوم على فكرة أساسية تصطدم بثقافة المجتمع الأفغاني وتراثه؛ ولذا فقد حمل المشروع الأمريكي في طياته عوامل فشله، فمحاولة استنبات المفاهيم الأمريكية، وغرس النموذج الغربي - بما يحمله من أفكار ليبرالية وأفكار تحررية - داخل المجتمع الأفغاني المحافظ، الذي تحكمه معتقداته الدينية وأعرافه القبلية، هي محاولة فاشلة؛ لأنها نبتت من خارج ثقافة المجتمع، حتى وإن كانت المحفزات التي ساقتها لتلميع تلك الأفكار مغرية.

- ينتمي غالبية عناصر طالبان لقبائل الباشتون ذات الأغلبية والنفوذ القومي في أفغانستان. والقبائل الباشتونية المسلحة بصورة جيدة من فترة الجهاد الأفغاني، كما أن هذه القبائل معروفة بالشراسة في القتال، وساعدت هذه القبائل التي يسكن الكثير منها على الحدود مع باكستان في إشعال الجبهة الحدودية، ومنع إرساء القواعد الأمريكية بقرب الحدود الأفغانية داخل باكستان.

- برغم الصعود العسكري القوي للمقاومة، وتحول وضع طالبان من مجرد مجموعات مسلحة ملاحقة من قبل الاحتلال، يسهل القضاء عليها - حسب تصريحات المسؤولين الغربيين في بداية الغزو - إلى فصيل عسكري مقاوم، تمكن من بسط نفوذه على مساحات كبيرة من أفغانستان، إلا أنه وعلى الرغم من ذلك فإن وصول هذه المقاومة إلى الدرجة التي تنجح معها في إجبار الاحتلال على الانسحاب تواجهه إشكاليات عدة، تحول دون إمكانية التنبؤ بانسحاب قريب للاحتلال.

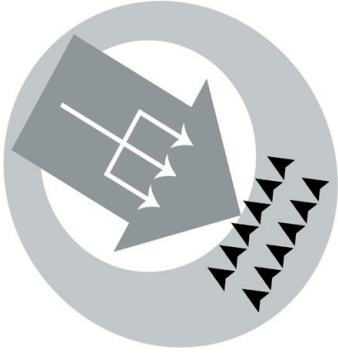
- إن عودة طالبان للسلطة بصورة أو بأخرى قد يكون مقبولاً أمريكياً، في ظل سيناريو محتمل للانسحاب تحت واقع الخسائر المتزايدة، والفشل في تحقيق أهداف تُذكر، وتغير محتمل في سياسات بعض الحكومات المشاركة بقوات في أفغانستان؛ نتيجة الضغط الشعبي، لكن بقاء الارتباط القوي بين طالبان والقاعدة يمثل إشكالية كبيرة للطرفين.

- رغم مساحة الاختلاف الكبيرة التي ميّزت معالم خمس مراحل رئيسية مرت بها أفغانستان في العقود الثلاثة الأخيرة: (الغزو السوفييتي - الحكم الشيوعي - الحرب الأهلية - حكم طالبان - الاحتلال وما بعد طالبان)، إلا أن السمة الأغلب في تلك المراحل جميعها هي التشرذم، والنزاعات الدموية بين الفصائل على الساحة الأفغانية.

- يصعب على مجموعات مقاومة عسكرية مسلحة تسليحاً بدائياً في مجمله كطالبان أن تهزم الطرف المعتدي، في حال كون هذا الطرف يملك أضخم ترسانة عسكرية، كتلك التي تملكها أمريكا، وبالتالي فالبديل هو إيقاع أكبر عدد من الخسائر البشرية والمادية في صفوف الاحتلال، عملاً بقاعدة «النصر ليس للأقوى، بل هو للأقدر على التسبب في الأذى».

- ولمواجهة عملية التغريب التي بدأها الاحتلال، تبرز أهمية تنشيط العمل الاجتماعي والدعوي العام؛ لمنع انتشار الفساد الخُلقي والاجتماعي في أوساط الناس، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق الأنشطة الاجتماعية، وعن طريق تفعيل دور المساجد وإيجاد الجمعيات الصغيرة المحلية.
- تحتاج المرحلة المقبلة للمواجهة جاهزية فصائل المقاومة لتكون على مستوى عالٍ من الواقعية والعملية؛ إذ من الصعوبة بمكان قيام فصيل واحد من فصائل المقاومة بمفرده بمواجهة كامل التحديات التي أفرزها واقع الاحتلال؛ لضخامتها.
- ربما أدت طريقة عمل طالبان المنفردة لعملية حشد للأعداء ضدها، وهو خطأ كبير من حيث فتح العديد من الجبهات المعادية، والحكمة تقتضي تحديد الأولويات في ظل محدودية الإمكانيات وكثرة التحديات، ما يستدعي العمل على تبني استراتيجيات تعكس ترتيبًا صحيًا للأولويات، وتضمن تماسك الجبهة المقاومة، وحصر دائرة الصراع مع الاحتلال.





## أفغانستان وصعود طالبان

محمد عادل - مصر

كاتب وباحث سياسي - سكرتير تحرير التقرير الارتياحي للبيان

لمواجهة المحتل الذي خرج على أعراف المجتمع المحافظ، إضافة لمن انضم للمقاومة بسبب تردّي الأوضاع في البلاد.

وفي الآونة الأخيرة تصاعد مشروع المقاومة في أفغانستان بصورة لافتة بقيادة طالبان، ما أدى لتحقيق نجاحات عسكرية غيّرت من طبيعة الصراع، وحالت دون تحقيق مشاريع الاحتلال على أرض الواقع. يرصد التقرير فشل الاحتلال الأمريكي في أفغانستان في تحقيق أهدافه وتراجع نفوذه، مما يؤشر لحتمية زواله، ويتناول حقيقة الصعود الطالباني في الساحة الأفغانية، كما يناقش إشكالات عودة طالبان من جديد للسلطة، فضلاً عن استشراف مستقبل المقاومة مع صعود طالبان القوي، وقيادتها لحركة الجهاد ضد الاحتلال.

### تصاعد مشروع المقاومة وحقيقة صعود طالبان:

تعاني طالبان ضعفاً شديداً في قدراتها العسكرية والمادية؛ إذا ما قُورنت بقدرات قوات الاحتلال الذي يتفوق عليها بصورة لا يمكن معها إجراء مقارنة بين الطرفين، ما يفترض معه حسم أي معركة مبكراً لصالح الاحتلال، إلا أن خمس سنوات منذ الغزو

### مقدمة:

حشدت أمريكا قدراتها العسكرية والسياسية لغزو أفغانستان تحت دعاوى الحرية والديمقراطية، والقضاء على «الإرهابيين»، وجلب الأمن والاستقرار لأفغانستان.

ومنذ اليوم الأول سارع الاحتلال -منطلقاً من مصالحه الاستراتيجية في المنطقة، وبمساعدة من بعض دول الجوار والدول الغربية- في تنفيذ المخططات المقررة لعلمنة البلاد، والسير بها بعيداً عن هويتها الإسلامية المحافظة، وإخضاعها للهيمنة الأمريكية.

في المقابل تشكلت فصائل المقاومة الأفغانية من أطياف متنوعة، تتباين دوافعها وتوجهاتها، وعلى رأسها المجموعات الجهادية؛ التي تنطلق من ثوابت شرعية بضرورة مقاومة المحتل وطرده، وإعادة الحكم الإسلامي، وتأتي طالبان والحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار على رأس هذه الفصائل، فضلاً عن مجموعات أخرى تحركت لدوافع وطنية أو قبلية

والناطقين باسمها، بل لم تنجح أمريكا في القضاء على زعيمها الملا محمد عمر.

إن ما يحدث في أفغانستان - بعد خمس سنوات من الاحتلال - لا يمكن بحالٍ وصفه بأنه مجرد عمليات عسكرية محدودة، بل الأمر يبدو تعدى ذلك إلى ما يمكن أن نصفه بأنه انطلاق عسكري قوي، وصعود منظم لطالبان في الساحة الأفغانية.

وبرغم تحول طالبان من مرحلة القدرة على البقاء إلى مرحلة القدرة على المواجهة، وإنزال ضربات موجعة بالخصم، حتى باتت تصريحات المسؤولين الغربيين تؤكد أن المرحلة القادمة من المواجهة، تمثل مرحلة فاصلة في الصراع، إلا أن كل ذلك لا يصح أن يدفعنا للاعتقاد بقرب انسحاب الاحتلال أو عودة «سريعة» لطالبان إلى السلطة، فما زالت التحديات الداخلية التي تواجهها طالبان أكبر من إمكانية التنبؤ معها «بقرب» انسحاب الاحتلال، خاصة مع استمرار المساعي الأمريكية الحثيثة لتحقيق أي انتصار على أي صعيد معلن؛ لترميم الصدع في جدار التحالف الدولي لمحاربة «الإرهاب».

وشهدت السنة الخامسة للاحتلال عددًا من التحركات الهامة لطالبان، تعكس رغبة قوية من الحركة في تشكيل وضع عسكري وسياسي جديد، واستمرار بناء قدرات تنظيمية وقاتلية فعّالة.

### تحركات طالبان للصعود والتغلب على الفارق العسكري:

- فتح جبهات جديدة وتوسيع دائرة الصراع: وسّعت طالبان نفوذها خارج مناطق نفوذها المعتادة في الجنوب، ومددت نشاطها إلى الغرب والشرق والشمال الأفغاني؛ بقصد إضافة المزيد من الهشاشة على الوضع الأمني المتردي، كي تمثل عبئًا إضافيًا تتحمل تبعاته حكومة قرضاي، فضلًا عن أن الضغط على قوات الاحتلال بتوسيع دائرة العمليات العسكرية يعني مزيدًا من الخسائر التي يصعب تحملها.

لم تنجح بشهادة القوات الأمريكية نفسها في القضاء على طالبان، أو التقليل من خطورة هجماتها.

إن الحركة - وباعتراف قوات الاحتلال نفسها - انتقلت إلى موقع الهجوم، وفوجئ المراقبون بحجم العمليات التي نفذها مقاتلو طالبان.

«في عام ٢٠٠٤ قتل ٥٤ جنديًا أمريكيًا، وفي عام ٢٠٠٥ قُتل ١٠٤ جنود أمريكيين؛ بحسب الإحصائيات الأمريكية، .. وبعد أربعة أشهر من هذا العام قتل ما يقرب من ستين إلى سبعين للقوات الأجنبية» (١).

ورجّح تقرير نشره المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية تصاعد هجمات مقاتلي حركة طالبان ضد قوات الاحتلال الدولية «الناتو»، قال التقرير الذي صدر بعنوان «التوازن العسكري ٢٠٠٦»: إن هذا العام سيكون حاسمًا بالنسبة لأفغانستان، وكذلك بالنسبة لقوات الناتو هناك.

وأوضح أنه من المرجح أن يواصل مقاتلو طالبان وتيرة عملياتهم؛ خاصة مع استبدال القوات الأمريكية بقوات الناتو؛ نظرًا لأن وقوع قتلى بين صفوف قوات الدول الأوروبية الأعضاء في الناتو ستحرك الرأي العام في تلك البلدان ضد الحرب (٢).

ووصف الأمين العام للناتو «ياب دي هوب شيفر» القتال الدائر مع طالبان جنوب أفغانستان بأنه «المعركة الأكثر شدة التي يخوضها الناتو في تاريخه» (٣).

فضربات طالبان باتت أكثر قوة وخطورة، والخسائر المادية والبشرية تتزايد، وقوات الاحتلال تتعرض لهجمات متصاعدة، حتى تلك التي لا تنتشر في أكثر المناطق خطرًا بالجنوب، بل عجزت قوات الاحتلال عن منع وصول تلك الهجمات للعاصمة كابول، وهي المنطقة الأكثر تحصينًا.

طالبان إذًا لا تزال موجودة على ساحة التأثير الأفغاني، ولا تزال محتفظة بقدر كبير من التنظيم، يؤكد ذلك قوة عملياتها، والتواجد القوي لقاداتها



ووسائل المقاومة العراقية؛ فلجأت إلى العبوات الناسفة وعمليات الاغتيال للعملاء، إضافة لعمليات التفجيرات عن بُعد.

- الحصول على أسلحة حديثة:

مثل حصول طالبان على أسلحة متطورة، خاصة صواريخ (أرض - جو) ومعدّات أخرى متطورة، نقلة تدعم قدرات طالبان المتواضعة،

وأعطتها قدرات جديدة في توسيع دائرة التهديدات ضد الاحتلال.

«ويؤكد المراقبون على أن الأسلحة المتوفرة لدى حركة طالبان هي أسلحة متطورة نسبياً، وباهظة الثمن في الوقت نفسه، وهو ما أشار إليه شريط بثته قناة

«العربية»، وتضمن صوراً لمقاتلين عرب وأفغان وأجانب يتهيئون لقصف مواقع أمريكية، ومزودين بأسلحة متطورة لا يمكن أن تكون متاحة بسهولة في أفغانستان»<sup>(٤)</sup>.

- البث الإذاعي:

جاء نجاح طالبان في إعادة بث إذاعة الشريعة- التي كانت تعتبر وسيلة الإعلام الرسمية الوحيدة إبان سنوات حكم الحركة- كملمح قوي لتزايد نفوذ طالبان، وإضعافها للنفوذ الحكومي، وكمؤشر لسعي الحركة لتجاوز مساحة المقاومة المسلحة إلى دوائر جديدة للتأثير، كفرصة لكسب مزيد من الدعم على المستوى الشعبي.

**تراجع مشروع الاحتلال:**

إن مقياس الفشل أو النجاح في أي عمل عسكري يتحدد في الأساس بمدى تحقيق هذا الفعل العسكري لأهدافه. وبالنظر في الأهداف التي تم تحديدها للحملة الأمريكية على أفغانستان، وعلى رأسها القضاء على طالبان وتنظيم القاعدة، والقبض على الملا عمر وأسامة بن لادن، فلم يتحقق منها

في خطوة أخرى لتوسيع دائرة الصراع استغلت طالبان منطقة القبائل الباكستانية الحدودية في جنوبي وشرقي أفغانستان كعمق لها في عملياتها ضد الاحتلال؛ اعتماداً على مناصرة القبائل الموالية «لطالبان»، والتي تُحكّم سيطرتها على المنطقة. وقامت الحركة بتأسيس قواعد ثابتة لها في وزيرستان؛ لتكون منطلقاً للعمليات ضد الاحتلال

الأمريكي وقوات التحالف، شجّعها على ذلك ما تميزت به المنطقة من طبيعة جبلية وعرة، فضلاً عن طبيعة أهلها من القبائل البشتونية المحافظة وتعصبهم القومي والديني، ودفاعهم المستميت عن خصوصياتهم، ما يمثل ضمان

الحماية الشعبية للمقاومة، كما أن المنطقة فضلاً عن كونها منطقة حدودية فهي تشكل منذ حقبة الجهاد الأفغاني مستودعاً هائلاً للأسلحة المختلفة المحلية والمهربة.

- تحييد بعض الأسلحة:

تمكنت طالبان من تقليل فاعلية سلاح الجو الأمريكي؛ إذ إن استراتيجية طالبان في البداية بالتحرك في مجموعات صغيرة العدد فوّتت الفرصة على توجيه ضربات كبيرة للحركة، وأصبحت الطلعات الجوية التي تقوم بها القوات الأمريكية ضعيفة التأثير؛ لعدم وجود قوات كبيرة تتحرك على الأرض.

- اللجوء للعمليات النوعية:

العمليات النوعية لها نتائج عسكرية كبيرة، فضلاً عن المكاسب المعنوية التي تصاحب مثل تلك العمليات، ومن هنا اهتمت المقاومة - بقيادة طالبان - بتنفيذ عدد من العمليات النوعية ضد أهداف أرضية كالقواعد العسكرية، وأهداف متحركة كالدوريات، وأهداف جوية كطائرات الهليكوبتر، كما يلاحظ على صعيد التطوير النوعي في العمليات العسكرية أن المقاومة الأفغانية قد تأثرت بأساليب

ومما أكد ضعف الوضع السياسي لحكومة قرضاي انتخاب يونس قانوني - منافسه في الانتخابات الرئاسية - رئيساً لمجلس النواب بغالبية الأصوات، فضلاً عن تمكن بعض قدامى المجهدين من الفوز في الانتخابات البرلمانية ٢٠٠٥.

وحالت هشاشة الوضع السياسي الراهن دون إحراز تقدّم كافٍ في العملية الديمقراطية والإصلاح؛ لأن الحكومة المركزية لازالت تفتقد الشرعية في ظل غياب جيش وطني قوي، فضلاً عن فشلها في القيام بوظائفها الرئيسية: في تحقيق الاستقرار، وتقديم الخدمات الأساسية للأفغان؛ بسبب نقص الموارد المالية، وعدم القدرة على فرض السيطرة الأمنية.

**الكثير من المناطق الأفغانية بدأت تظهر بألوان حمراء على الخرائط العسكرية الأمريكية، ولا تزال الألوان الحمراء تتزايد عاكسة تدهور الوضع الأمني**

- فشل أمريكي:  
فشلت قوات الاحتلال الأمريكية في بناء جيش أفغاني، وقوات شرطة أفغانية قادرة على القيام بالأعباء الأمنية المضطربة؛ بسبب عمليات المقاومة من جهة، والعصابات المسلحة وأمراء الحرب من جهة أخرى، فضلاً عما مثَّلته سحب القوات الأمريكية بعض وحداتها من أفغانستان، وتأثير ذلك على معنويات جيش أفغاني ضعيف، وفتح الطريق للمزيد من الاضطرابات الأمنية.

كما أن «المتعاونين مع الحكومة يشعرون بقلق كبير من الأوضاع، ولا يرون سوى إشارات سلبية على مستقبل قاتم...، فالكثير من المناطق الأفغانية بدأت تظهر بألوان حمراء على الخرائط العسكرية الأمريكية، ولا تزال الألوان الحمراء تتزايد عاكسة تدهور الوضع الأمني» (٥).

- فشل اقتصادي:

رغم وعود التغيير ومؤتمرات إعادة الإعمار التي منحت أفغانستان على الورق عدة مليارات، إلا أن عملية إعمار حقيقي - تشمل تأسيس بنية اقتصادية

بعد خمس سنوات ما يمكن أن يشير لأي نوع من النجاح.

لم تسر أفغانستان خلال أعوام الاحتلال باتجاه الدولة المستقرة المتشربة للديمقراطية الغربية، على ذلك النحو الذي أعلنته أمريكا عند غزوها لأفغانستان، بل سارعت نحو دوامة من العنف والتوتر لم يسلم منها حتى المدنيين، بل لم تتمكن معها الحكومة المتعاونة مع الاحتلال من بسط نفوذها وسيطرتها الأمنية حتى داخل العاصمة كابول.

ولم يقتصر الفشل على عدم تحقيق الهدف الأكبر للحملة من القضاء على طالبان والقاعدة، بل تعدى ذلك لصور منوعة من الفشل، ترجع في أساسها إلى فشل الاستراتيجية الأمريكية والحكومة الأفغانية العميلة في تحقيق أي استقرار سياسي، أو تقدم اقتصادي، أو أمني، كما هو مُفترَض من خلال أهداف الاحتلال المعلنة.

### صور فشل الاستراتيجية الأمريكية في أفغانستان:

- فشل سياسي:

لم تتمكن المحاولات الأمريكية بعد خمس سنوات من الاحتلال من التوصل لعملية سياسية مقبولة من القوى الأفغانية الرئيسية، مما أدى لتجاوز الواقع السياسي الهش لأفغانستان، وضعف الحكومة العميلة؛ التي أتت نتيجة انتخابات مشكوك في نزاهتها، إلى مشاكل أخرى تعوق وجود استقرار سياسي، وأهمها كثرة مراكز القوى الداخلية المؤثرة على الساحة الأفغانية، والتنازع داخل هذه المراكز، مما عرّض العملية السياسية للانتقاد حتى من قبل بعض قادة المجهدين السابقين الذين صمتوا على الاحتلال الأمريكي.

من أهمية لأمریکا في حسم السيطرة على هذه المنطقة الهامة من العالم، بتحديد المستقبل الأمني والاقتصادي لآسيا الوسطى وما حولها. مع هذا فإن احتمالية بقاء الاحتلال في المستقبل الأفغاني يصطدم بعدد من الحقائق، والمؤشرات تؤكد صعوبة بل استحالة استمراره لفترة طويلة، ما يعني أن عملية انسحاب قوات الاحتلال، في حال استمرار الوضع على ما هو عليه، ما هي إلا مسألة وقت.

### حقائق ومؤشرات تؤكد صعوبة استمرار الاحتلال:

- فشل الحكومة الموالية للاحتلال: عجزت الحكومة الأفغانية الموالية للاحتلال - التي كان يُفترض أن لها دورًا كبيرًا في الدفع بالمشروع الأمريكي إلى الأمام - في الوفاء بما وعدت به الشعب من تحسين الأوضاع الاقتصادية والأمنية، والقضاء على البطالة.

كما أنه «لا يتاح للمنح والمخصصات المالية التي تتلقاها أفغانستان أن تصل إلى أهدافها؛ بسبب الفساد المالي والإداري، وتضخم دور البيروقراطية، والنتيجة هي نقص الخدمات الأساسية»<sup>(٧)</sup>، مما ساهم في تصاعد المقاومة، وانضم العديد من أبناء الشعب الأفغاني للمقاومة بعدما تأكدوا من عدم جدية الحكومة في تنفيذ وعودها.

كما مثَّل عودة قُطاع الطرق والمجرمين السابقين، وأمراء الحرب إلى سيرتهم الأولى من النهب والسلب وهتك الأعراض باعًا آخر للقتال ضد الحكومة.

- سخط شعبي وفقدان التأييد الجماهيري: لا يمكن لقوات التحالف تحقيق إنجازات سياسية، أو تقدم عسكري، أو أمني مستديم بدون ضمان دعم محلي قوي؛ تستطيع معه التحرك بحرية لتحقيق مصالحها الاستراتيجية، والقضاء على طالبان والقاعدة. وفشل الاحتلال في تحقيق شيء من

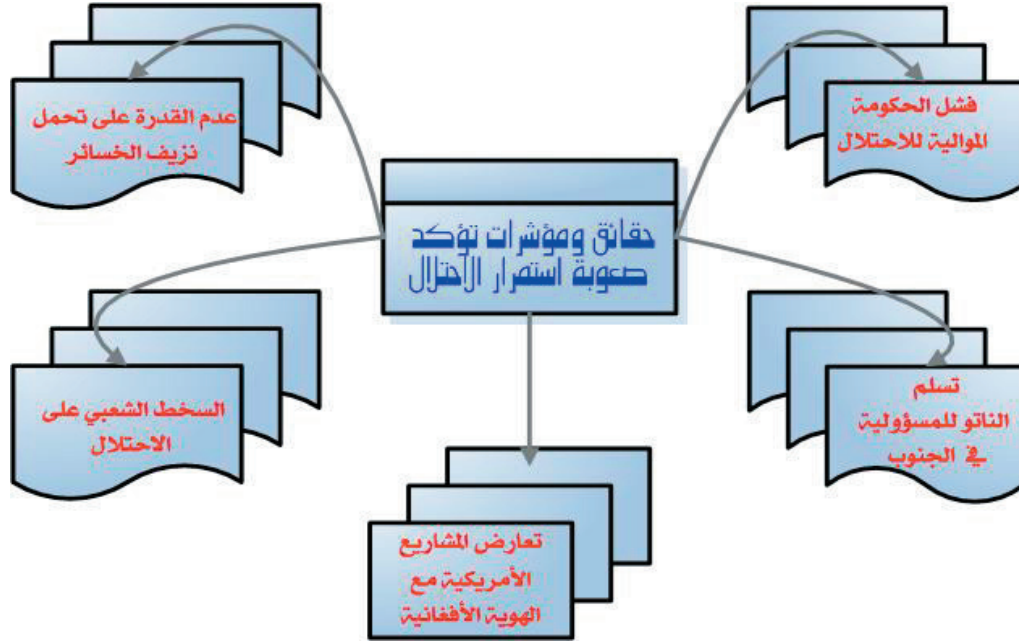
قوية، وتنويع مصادر الدخل الوطني، ورفع مستوى المعيشة - لم تبدأ بعد.

المتأمل في الوضع الأفغاني يلحظ بسهولة حقيقة الوضع الاقتصادي الهش الناتج عن السياسة الأمريكية في أفغانستان، والمتمثلة في اعتماد الاقتصاد الأفغاني بالأساس على المعونات الخارجية، إضافة لعودة اعتماده خلال سنوات الاحتلال على زراعة المخدرات، و«تعتبر أفغانستان أكبر مصدر للأفيون والهيروين في العالم؛ حيث باتت منذ الغزو الأمريكي مصدرًا لنحو ٩٠٪ من هاتين المادتين في العالم، وتعتبر هذه التجارة غير المشروعة مصدرًا لثلث اقتصاد أفغانستان تقريبًا»<sup>(٦)</sup>، فضلًا عن انتشار الفساد الإداري في الدوائر الحكومية، ومُعاناة الشعب الأفغاني، نتيجة ضعف النشاط التجاري، وعدم تشييط الموارد الاقتصادية.

### مستقبل الاحتلال:

على الرغم من مؤشرات التراجع والفشل الذي مُنيت به قوات الاحتلال في أفغانستان إلى الآن، إلا أنه يبدو أن أمريكا «وعلى المدى القريب» لن تقبل بفشل المهمة، كما أنه من الصعوبة بمكان الحديث عن إمكانية انسحاب «قريب» لأمريكا من أفغانستان؛ تاركة الطريق لطالبان والقاعدة للعودة وامتلاك زمام الأمور؛ بسبب ما يعنيه هذا من ضربة كبيرة للتحالف ضد «الإرهاب»، خاصة مع ما تمثله أفغانستان من كونها المحطة الأولى في تلك الحرب، وكونها منطلق تنظيم القاعدة المستهدف الأول بالحملة.

من هنا كان استمرار المحاولات الأمريكية الحثيثة لتحقيق بعض النجاحات، وتغيير الصورة التي بدأت تتكشف للمجتمع الدولي بفشل الاحتلال في أفغانستان. كما أن تأييد ودعم الدول الغربية لأمريكا لحربها في أفغانستان، وإن بدأ يهتز بصورة قابلة للتزايد، إلا أنه لم يصل بعد للدرجة التي تؤثر بقوة على قوات الاحتلال، فضلًا عما تمثله نتائج معركة أفغانستان



الحوادث، وكشفت عن مدى السخط الشعبي على قوات الاحتلال. (٩)

- صعوبة القضاء على المقاومة وعدم القدرة على تحمل نزيف الخسائر:

الوضع العسكري لقوات الاحتلال في أفغانستان يؤكد صعوبة القضاء على المقاومة، أو تحقيق انتصار عسكري حقيقي، خاصة في ظل الوضع الشعبي الذي تحول بقوة تجاه المقاومة، فضلاً عن أن الوضع الجغرافي، وما يحويه من تضاريس جبلية يشكل عائقاً كبيراً لا يسمح بتحقيق النصر لقوات نظامية تواجه مجموعات مسلحة تستخدم أسلوب حرب العصابات، وتتواجد في الكهوف والجبال، ولا تتحرك عادة من مواقع ثابتة، مما يصبح من المستحيل معه القضاء عليها، إضافة لقلّة عدد قوات الاحتلال المتواجدة على الأراضي الأفغانية؛ قياساً بما تحتاجه قوات غازية للسيطرة على بلد يزيد عدد سكانه على ٢٥ مليون، فجيّش الاتحاد السوفيتي البالغ عدده ١٢٠ ألف جندي بما يميزون به من كفاءة قتالية؛ خاصة على مستوى قوات المشاة، لم يتمكن من

وعوده عن المساعدات المالية، وإعادة بناء أفغانستان بعدما أحدثه الغزو من تدمير نشأ عنه حالات واسعة من التدمير والسخط الشعبي.

زاد من تأزم الأوضاع الطريقة الهمجية التي تعاملت بها قوات الاحتلال مع الشعب الأفغاني من قصف القرى، وقتل النساء والأطفال، وعدم مراعاة التقاليد والأعراف التي تحكم الأفغان، ولم يسلم من التطاول الأمريكي حتى المساجد، ما دفع قطاعاً عريضاً من الشعب الأفغاني إلى الانتقال لجبهة المقاومة.

وكان الجنرال البريطاني ديفيد ريتشاردز قائد قوات الناتو في أفغانستان قد حدّر من «أن الدولة تمر بلحظة فارقة، وأن ٧٠٪ من الأفغان قد يتحولون لمساندة طالبان ما لم يشعروا بأي تحسن في ظروف حياتهم خلال الأشهر الستة المقبلة». (٨)

وأظهرت أعمال الشغب الواسعة التي وقعت بكابول (مايو ٢٠٠٦) إلى أيّ مدى بلغ السخط الشعبي من الاحتلال، حتى داخل العاصمة كابول، فبرغم أن الحادث بدا عرضياً إلا أن ردود الأفعال تجاوزت نطاق ردود الأفعال الطبيعية على مثل هذه

مشاكل كبيرة؛ بسبب صعوبة إقناع بقية قوات الحلف بالمشاركة في عمليات الجنوب الساخن. (١١) وقالت صحيفة واشنطن بوست الأمريكية: «إن الدعوة لمزيد من القوات والمعدات لمواجهة انبعاث مقاتلي طالبان، يأتي في وقت يعاني فيه حلف شمال الأطلسي من أعلى نسب للخسائر لخمس سنوات من الصراع في أفغانستان؛ بينما تشعر الحكومات الأوروبية بالإنهاك، بسبب المطالب بإرسال قوات في أفغانستان والعراق ولبنان والبلقان، وفي العديد من الدول الإفريقية». (١٢)

كما «اعترف وزير الدفاع البريطاني «ديس براون» أن مقاومة طالبان لقوات الناتو بأفغانستان فاقت التوقعات التي كانت لدى الحلف عندما نشر في البداية قواته؛ للمساعدة فيما يسمى بأعمال إعادة البناء». (١٣)

«وتواجه الولايات المتحدة وشركاؤها في الحلف تحديات كبيرة في مجال قابلية العمل المشترك، مع افتقار الأوروبيين إلى العديد من الأسلحة والتقنيات والوسائل المتقدمة التي تملكها القوات الأمريكية. فهناك فجوات كبيرة بين القدرات الأمريكية والأوروبية». (١٤)

- تعارض المشاريع الأمريكية مع الهوية الأفغانية: المشروع الأمريكي يقوم على فكرة أساسية تصطدم بثقافة المجتمع الأفغاني وتراثه، ولذا فقد حمل المشروع الأمريكي في طياته عوامل فشله، فمحاولة استنبات المفاهيم الأمريكية، وغرس النموذج الغربي - بما يحمله من أفكار ليبرالية وأفكار تحريرية - داخل المجتمع الأفغاني المحافظ الذي تحكمه معتقداته الدينية وأعرافه القبلية، هي محاولة فاشلة؛ لأنها نبتت من خارج ثقافة المجتمع، حتى وإن كانت المحفزات التي ساققتها لتلميع تلك الأفكار مغرية؛ (مثل بناء دولة المؤسسات، وإنعاش الاقتصاد

فرض سيطرته على هذه المناطق النائية، فكيف يمكن لأمریکا بأقل من نصف ذلك العدد أن تسيطر عليها. ومع ارتفاع الخسائر في صفوف قوات الاحتلال، وضمها قوات الناتو التي بدأت تتواجد في الأماكن الساخنة في الجنوب؛ فإن القدرة على الاستمرار في تحمّل المزيد من الخسائر سيضعف، ويتوقع تزايد الضغوط الشعبية على الحكومات التي تشارك بقوات ضمن الناتو بأفغانستان لسحب تلك القوات.

- تسلم الناتو للمسؤولية في الجنوب:

يبنى الأمريكيون آمالاً كبيرة على قوات الحلف

الأطلسي؛ لتقليص عبء عمليات حفظ الأمن عن القوات الأمريكية، وتمكينها من خفض قواتها العاملة بأفغانستان، ما يشير لعجز القيادة الأمريكية على تحمل المسؤولية الأمنية منفردة،

وأن التحديات التي تواجهها في العراق تصب إيجاباً لصالح المقاومة الأفغانية.

كما أن خفض أعداد القوات الأمريكية شجّع على مزيد من التصاعد في عمليات المقاومة ضد القوات الغير أمريكية (كقوات كندا التي قتل منها ٤٢ قتيلاً، والقوات البريطانية التي قُتل منها ٤١ قتيلاً)، وزاد الوضع سوءاً وجود بعض الانقسامات المرشحة للتصاعد داخل الناتو حول طبيعة مهام القوات وأماكن تمرزها، ويرى الجنرال الأمريكي المتقاعد «باري ماكفيرى»، الذي زار أفغانستان في أغسطس الماضي، أن قوات الناتو التي يُراد إحلالها محل القوات الأمريكية لن يمكنها التصدي لأعمال المقاومة الأفغانية الشرسة؛ لكونها أقل كفاءة وقدرة قتالية». (١٥)

وتواجه قوات الناتو في جنوب أفغانستان والمشكلة من الجنود البريطانيين والكنديين والهولنديين

قوات الناتو التي يُراد إحلالها محل القوات الأمريكية لن يمكنها التصدي لأعمال المقاومة الأفغانية الشرسة؛ لكونها أقل كفاءة وقدرة قتالية (الجنرال الأمريكي المتقاعد باري ماكفيرى)

ذلك إلى التفكير جدًّا في الانسحاب، وعدم الاستمرار في تحمل الخسائر إلى ما لا نهاية.

### عودة طالبان:

عودة الحركة للتأثير في مجريات الأمور وبسط نفوذها على مناطق واسعة من أفغانستان يكذب الدعاية التي رُوِّج لها الاحتلال من أن الحركة ليس لديها ما يكفي من الإمكانيات للاستمرار، أو أنها مجرد صنعة لأيدٍ خارجية اعتمدت عليها في الوصول للسلطة.

كما أن صعودها القوي وسط تحديات منوعة يثبت أنها تمتلك من مقومات التأثير وعوامل القوة ما يمكن معه التنبؤ في حال تفعيله بعودة ممكنة لطالبان.

ويؤكد صعود المقاومة وتراجع الاحتلال تصريحات قادة طالبان برفض محاولات المصالحة المتكررة من جانب الحكومة، والإصرار على استمرار المقاومة، وردّها على المزاعم التي يروج لها الاحتلال من أنّ لآخر بشأن محادثات تجري بين طالبان والناٲو «من أجل انضمام الحركة لتوجهات المصالحة التي ترغب بها كإبول؛ تمهيدًا لإلقاء سلاحها جنوب البلاد، مشددة على أن هذه التقارير ليست سوى دعاية تطلقها القوات الأجنبية بأفغانستان». (١٥)

### مواطن قوة طالبان:

مرت طالبان بثلاث مراحل أساسية في مسار نشأتها وتطورها: ( حرب أهلية - الوصول للسلطة - مقاومة الاحتلال)؛ ولكل مرحلة طبيعتها الخاصة، وإشكالاتها المختلفة، وعلى مدار سنوات تجاوزت العشر تنوعت أدوار طالبان، واختلفت صور التحديات التي واجهتها، إلا أن ثبات طالبان ونجاحها في استيعاب تلك التحديات، ومواجهتها مع ما يستلزمه

الأفغاني، ونشر الأمن، ..) إلا أن الشعب الأفغاني في ظل الاحتلال لم يشهد في واقعه مؤشرات تؤيد صحة تلك المحفزات، كما أن مراجعة سريعة لتاريخ أفغانستان تؤكد صعوبة نجاح مثل تلك التجربة في هذه البيئة المحافظة.

- تصاعد المقاومة العراقية وصعود الديمقراطيين: يبدو أن تداعيات تدهور أوضاع قوات الاحتلال الأمريكي في العراق، وتمركز ساحة عمليات الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في منطقة الشرق الأوسط، سيكون لها تأثيرات تذهب إلى أبعد مما يمكن توقعه خلال المرحلة الحالية، إلا أنه يبدو أنها تصب إيجابًا لصالح المقاومة الأفغانية، خاصة بعد إعلان نتائج الانتخابات التشريعية النصفية في أمريكا

وفوز الديمقراطيين، والذي بدا كأنه رفض شعبي لسياسات بوش في العراق، وإعلان الرئيس الأمريكي استقالة وزير الدفاع رامسفيلد، فمن المتوقع أن تنعكس هذه النتائج سلبيًا على وضع الاحتلال في أفغانستان، لتركيز أمريكا الحالي لمعظم جهودها العسكرية والسياسية لتحقيق أي

نجاحات في العراق - الذي بات المحطة الأهم في سياسة أمريكا الخارجية - في محاولة لتخطي الإشكالات الضخمة التي تواجهها هناك، فضلًا عن فداحة الثمن الذي يمكن أن تدفعه في حال استمرار فشل مخططاتها بالعراق.

والرهان الحقيقي ليس على الديمقراطيين، أو الجمهوريين؛ بل على المقاومة الأفغانية، وقدرتها على استثمار هذه المتغيرات لصالحها؛ لأن القضايا الاستراتيجية للولايات المتحدة لا يوجد في الحقيقة خلاف حولها بين الديمقراطيين والجمهوريين، وبرغم ذلك فهناك قلق متزايد من جانب الديمقراطيين من تزايد أعمال المقاومة وزيادة العنف، وقد يدفعهم

عناصر طالبان على الصمود أمام الخسائر الفادحة التي تكبدوها كانت مفاجأة حقيقية، مما يستدعي بذل جهود إضافية أكثر مما توقعنا» (١٦)

### عوامل قوة من خارج الحركة:

- الدعم القبلي: ينتمي غالبية عناصر طالبان لقبائل الباشتون ذات الأغلبية والنفوذ القوي في أفغانستان. والقبائل الباشتونية متسلحة بصورة جيدة من فترة الجهاد الأفغاني، كما أن هذه القبائل معروفة بالشراسة في القتال، وساعدت هذه القبائل التي يسكن الكثير منها على الحدود مع باكستان في إشعال الجبهة الحدودية، ومنع إرساء القواعد الأمريكية بقرع الحدود الأفغانية داخل باكستان.

وتمكنت طالبان من الاستفادة من النظام القبلي الذي يسود أفغانستان، فقوّت علاقاتها العشائرية مع القبائل الأفغانية - مستغلة خطأ الاحتلال في تجاوز الأعراف القبلية - مما أتاح لها الحصول على المؤن والإمدادات.

- دعم بعض الفصائل لطالبان: مثال ذلك ما أعلنه زعيم الحزب الإسلامي قلب الدين حكمتيار من دعم وإشادة بطالبان وقادتها، ويعد حكمتيار أحد أقوى وأهم الزعماء الأفغان، وتأتي أهمية دعمه لطالبان في ضوء القدرات المالية، والتسلح القوي والخبرة التي تتمتع بها قواته، والتي تكونت خلال فترة الجهاد الأفغاني ضد السوفييت. فضلاً عن الدعم المتاح لحركة طالبان من الجماعات الإسلامية الباكستانية، المتعاطفة مع طالبان، خاصة حزب الجماعة الإسلامية، وجمعية علماء الإسلام.

- البيئة الدولية: اشتعال الموقف في العراق يُتوقع أن يكون محور الاهتمام الأمريكي الفترة القادمة؛ حيث سحبت أحداث العراق الاهتمام الأمريكي بعيداً عن أفغانستان، الأمر الذي يمثل فرصة لطالبان لتوسيع نفوذها، وتثبيت صعودها.

يُضاف لذلك ما قد يترتب على تدهور العلاقات

ذلك من مرونة تنظيمية أثبتت أنها قادرة على التكيف مع المتغيرات، وعلى تعظيم مكتسباتها. وتقوّي العديد من العوامل التوقع بتصاعد طالبان، وترتبط تلك العوامل في بنية الحركة وتكوينها الداخلي، تدعمهما العديد من العوامل الخارجية.

### ويشار فيما يلي إلى أهم تلك العوامل:

#### عوامل قوة ذاتية:

- تماسك داخلي: مثل الرباط العقدي القوي الذي يجمع عناصر طالبان إضافة للخلفية الفكرية الموحدة - حيث تلقى الكثير منهم التعليم الديني في المدارس الدينية بباكستان - صمام أمان لوحدة الصف الطالباني، فضلاً عن إخلاصهم الشديد لأهدافهم والتضحية من أجلها، إضافة للسيطرة الكبيرة للملا عمر على عناصر الحركة وولائهم الشديد له، وهيبة الحركة في قلوب الأفراد، فضلاً عن الترابط العرقي القوي؛ إذ يجمعهم العرق البشتوني الذي يُشكّل غالبية الأفغان.

- ديناميكية مرنة: استطاعت الحركة الثبات في المقاومة وامتصاص الضربات العنيفة التي تلقته على مدار خمس سنوات منذ بداية الغزو، وفشلت في تمزيق أوصالها، بل تمكنت وسط أجواء بالغة الصعوبة من تطوير قدراتها، وتوسيع دائرة نفوذها خارج الحدود الجنوبية للدرجة التي باتت تشكل بها خطورة حقيقية على قوات الاحتلال، ما يؤكد قدرتها على تطوير حركتها وآليات عملها، الأمر الذي قد يرجع في أحد جوانبه لطبيعة نشأتها وسط ظروف بيئية متوترة تشبه المناخ الحالي (تعدد ولاءات - تدخل خارجي - فصائل متناحرة - تدهور وضع أمني)، ورغم ذلك تمكنت من الوصول للسلطة والحفاظ عليها خمس سنوات.

واعترف وزير الدفاع البريطاني ديس براون بأن المقاومة التي تبديها عناصر حركة طالبان في جنوب أفغانستان كانت «أقوى من المتوقع»، وقال: إن «قدرة

لظهور بوادر توتر بين باكستان من جهة وأمريكا والدول الغربية الرئيسية المشاركة بقوات في أفغانستان؛ حيث كشفت صحيفة ديلي تلجراف البريطانية عن «أن قادة قوات حلف الناتو في أفغانستان طالبوا حكومات بلادهم باتباع أسلوب أكثر صرامة مع باكستان؛ حيث اتهموها بدعم ميليشيات حركة طالبان». (١٨)

### إشكاليات عودة طالبان:

على الرغم من الصعود العسكري القوي للمقاومة، وتحول وضع طالبان من مجرد مجموعات مسلحة ملاحقة من قبل الاحتلال يسهل القضاء عليها - حسب تصريحات المسؤولين الغربيين في بداية الغزو - إلى الفصيل الأساسي للمقاومة، والذي تمكن من بسط نفوذه على مساحات كبيرة من أفغانستان، إلا أن وصول هذه المقاومة إلى الدرجة التي تنجح معها في إجبار الاحتلال على الانسحاب تواجبه إشكاليات عدة تحول دون إمكانية التنبؤ بانسحاب «قريب» للاحتلال.

### ويأتي على رأس تلك الإشكاليات:

- الحرب على الإرهاب والارتباط بالقاعدة: برغم الاختلاف في توجه مشروع طالبان عن مشروع القاعدة التي أعلنت عنه عام ١٩٨٨ تحت عنوان «الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والنصارى»؛ حيث إن ذلك التوجه العالمي لم يكن ضمن برنامج إمارة أفغانستان حينها، إلا أن ارتباط طالبان بالقاعدة كان قوياً لدرجة التلاحم؛ حيث الاتفاق الكامل على فكرة إقامة الإمارة الإسلامية التي تطبق شرع الله، فضلاً عن الارتباط «المبدئي» لطالبان تجاه تنظيم القاعدة الذي دعم الحركة أثناء فترة حكمها، وبإيع «ابن لادن» «الملا عمر» أميراً للمؤمنين، كما ساعد ابن لادن الحركة ضد معارضيها «الأمر الذي أدى إلى ثقة نظام طالبان الكبيرة في أسامة، ورفع مكانة أسامة من مجرد الضيف لدى طالبان إلى صانع القرار أو مشارك في صنعه في نظام طالبان». (١٩)

الإيرانية الأمريكية من تأثيرات سلبية على الاستقرار الإقليمي، وفتح جبهة مواجهة جديدة تضعف من الموقف الأمريكي في أفغانستان، وتوفر بيئة ملائمة لتصعد طالبان من عملياتها، كما أن إقدام أمريكا على مهاجمة إيران - إن حدث - قد يمثل فرصة لربط جبهات المواجهة العسكرية ضد أمريكا، مما قد يعني فتح ممر آمن لانتقال الأسلحة والمقاتلين بين العراق وأفغانستان.

وعلى الجانب الباكستاني فإن اهتمام باكستان بدأ يتجه مجدداً لطالبان التي وقّرت حين وصولها للحكم نوعاً من الاستقرار بين البلدين، ووفرت لها بعداً آمناً هاماً، ثم أصبح ما يحدث في أفغانستان من عدم استقرار يؤثر على استقرار باكستان نفسها، خاصة التوترات القبلية على الحدود بين البلدين، وهي منطقة ترتفع بها الاحتمالات لاندلاع ثورة ضد باكستان، ونتيجة للضغوط الأمريكية على باكستان استجاب الرئيس مشرف للمطالب الأمريكية بالقيام بحملات مدهمة لمناطق القبائل الحدودية؛ التي تأوي الجماعات المسلحة المتعاطفة مع المقاومة، لكن حملاته المتكررة فشلت في القضاء على المقاومة؛ بسبب الطبيعة الجبلية الوعرة للمنطقة، والسيطرة التامة عليها من جانب القبائل البشتونية، واشتعلت المناطق الحدودية بالعمليات العسكرية، الأمر الذي أدى إلى مصرع المئات من الجنود الباكستانيين خلال المواجهات، وآل الأمر في النهاية لعقد اتفاقية بين الحكومة وبين تلك القبائل لوقف العمليات العسكرية.

يضاف لذلك زيادة قلق باكستان؛ بسبب تنامي علاقات أفغانستان تحت الاحتلال مع الهند العدو الاستراتيجي لباكستان.

ويبدو أن باكستان قد بدأت تستشعر الأهمية المستقبلية لتجديد فتح قوات اتصال مع طالبان بعد تغير الوضع كثيراً لصالح المقاومة (١٧)، مما أدى



ويبقى أن هذا الارتباط الذي جمع لفترة بين مصيري طالبان والقاعدة يمثل العقبة الأكبر التي ربما تؤخر عودة ممكنة لطالبان إلى السلطة، أو على الأقل انسحاباً محتملاً للاحتلال في مدى غير بعيد.

- الإشكالية الثانية: النزاعات بين فصائل المقاومة: رغم مساحة الاختلاف الكبيرة التي ميزت معالم خمس مراحل رئيسية مرت بها أفغانستان في العقود الثلاثة الأخيرة (الغزو السوفييتي - الحكم الشيوعي - الحرب الأهلية - حكم طالبان - الاحتلال وما بعد طالبان)، إلا أن السمة الأغلب في تلك المراحل جميعها هي التشرذم، والنزاعات الدموية بين الفصائل على الساحة الأفغانية، سواء أكانت جهادية أم شيوعية، أم عصابات مسلحة، وما يعيننا هنا هو التشرذم داخل الصف

إن عودة طالبان للسلطة بصورة أو بأخرى قد يكون مقبولاً أمريكياً في ظل سيناريو محتمل للانسحاب تحت واقع الخسائر المتزايدة، والفشل في تحقيق أهداف تذكر

المقاوم، والذي لم يتوقف على مدار عقود. الاحتلال الأمريكي لأفغانستان وما خلفه من دمار لم يكن سبباً كافياً لتوحيد جهود الفصائل التي لا تزال تتبنى خيار المقاومة؛ إذ ما زالت تعاني من مساحة اختلاف تظهر في أحسن أحوالها في صور من التشتت وعدم التنسيق الناشئ عن فقدان الثقة، ويصل للاقتتال في أحيان كثيرة.

ويضم التيار المناوئ لحركة طالبان كثيراً من الأحزاب الجهادية، ومن أبرزهم الاتحاد الإسلامي بقيادة الأستاذ الأستاذ سياف، والجمعية الإسلامية بقيادة الأستاذ برهان الدين رباني، .. وجبهة الإنقاذ لصبغة الله المجددي، وغيرها ممن كوّن تحالف الشمال للوقوف ضد طالبان؛ حيث «شاركت الأحزاب التي ضمها تحالف الشمال في الهجوم العسكري لأمريكا لإسقاط نظام طالبان... ومنها الأحزاب التي شاركت في التسوية السياسية فقط دون المشاركة في

وما قام به الملا عمر بربط مصيره ومصير الدولة بمصير القاعدة وزعيمها عندما رفض - لأسباب دينية- تسليم ابن لادن لأمريكا لمحاكمته؛ رغم التهديد بضرب أفغانستان، يدل على طبيعة تلك الحركة والعلاقة الخاصة بينها وبين تنظيم القاعدة.

فضلاً عن التنسيق العسكري القوي بين الطرفين على مدار سنوات الاحتلال، فقد أكد مسئول طالباني رفيع أن «الحركة بالتعاون مع أيمن الظواهري الرجل الثاني في تنظيم القاعدة قد انتهت من وضع الاستراتيجية التي ترى أنها كفيلة

بإنهاء الاحتلال الغربي لأفغانستان وعودتها من جديد للحكم». (٢٠)

إن عودة طالبان للسلطة بصورة أو بأخرى قد يكون مقبولاً أمريكياً في ظل سيناريو محتمل للانسحاب تحت واقع الخسائر المتزايدة، والفشل في تحقيق

أهداف تذكر، وتغير محتمل في سياسات بعض الحكومات المشاركة بقوات في أفغانستان؛ نتيجة الضغط الشعبي، لكن بقاء الارتباط القوي بين طالبان والقاعدة يمثل إشكالية كبيرة للطرفين، حيث من غير المتوقع أن تقبل أمريكا بالانسحاب وقبول عودة طالبان للسلطة، أو حتى وجودها كفاعل مؤثر في الساحة الأفغانية مع بقاء ارتباطها القوي بالقاعدة، خاصة بعد أن حصرت الإدارة الأمريكية مفهوم الحرب على الإرهاب - حسب وزارة الخارجية الأمريكية - في الحرب على القاعدة، وأصبح «التعريف» (القانوني) للحرب على الإرهاب بالنسبة للولايات المتحدة هو الحرب على شبكة القاعدة وتشعباتها، التي ستنتهي مع إلقاء هذا التنظيم سلاحه». (٢١)

فضلاً عن ذلك فإن بعض القوى المؤثرة في أفغانستان حتى داخل طالبان كانت تعارض وجود ابن لادن على أراضيها؛ لما كان يسببه من مشاكل في علاقة أفغانستان بالدول الأخرى.

تهدف في المقام الأول لإجبار الاحتلال على الرحيل من جانب، وتهيئة الوضع لعودة ممكنة للحركة إلى السلطة مرة أخرى، وتبرز أهم معالم تلك الاستراتيجية وفقاً لمعطيات الواقع فيما يلي:

- تبني استراتيجية الاستنزاف وتضخيم تكاليف البقاء: يصعب على مجموعات مقاومة عسكرية مسلحة تسليحاً بدائياً في مجمله كطالبان أن تهزم الطرف المعتدي؛ في حال كون هذا الطرف يملك أضخم ترسانة عسكرية كتلك التي تملكها أمريكا، وبالتالي فالبديل هو تضخيم الخسائر البشرية والمادية في صفوف الاحتلال؛ عملاً

بقاعدة: «النصر ليس للأقوى، بل هو للأقدر على التسبب في الأذى»، ومن هنا تبدو أهمية استخدام استراتيجية الاستنزاف التي تقوم على إطالة أمد الحرب مع زيادة تكاليف البقاء، إلى الدرجة التي تصبح فيها تكلفة

البقاء أكبر من مصلحة البقاء، فاستخدام أسلوب حرب العصابات والكر والفر يُحدث عملية الاستنزاف للآلة العسكرية الضخمة للاحتلال، لتتمكن من تجاوز عقبة التفاوت في القدرة العسكرية، وتحول محور الحرب من حرب يعتمد النصر فيها على الأقوى عسكرياً وتقنياً إلى حرب إرادات؛ يعتمد النصر فيها على الصمود وإقناع الطرف الآخر بحتمية الهزيمة، ودفعه للاستسلام، فيما يمكن تسميته بعمليات لي الذراع، أو العَضُّ المتبادل لكسر إرادة الخصم.

- تنويع محاور المواجهة: لا يمكن التصدي للمشروع الأمريكي المتعدد الأهداف في أفغانستان بمجرد المقاومة العسكرية وحدها، بل لا بد من التحرك على محاور مواجهة متعددة يكون العمل العسكري دعماً؛ بحيث تُستثمر نتائج الفعل العسكري على المستوى السياسي والاجتماعي والدعوي والإعلامي، حتى تتضافر الجهود لإفشال

القتال ضد طالبان، مثل الجبهة الوطنية بقيادة أحمد جيلاني، والأحزاب التي انضمت إلى المشروع بعد ذلك كحركة الانقلاب الإسلامي.

وُتسوّغ هذه الأحزاب مشاركتها مع الأمريكيين في القتال ضد طالبان بالمصالح المشتركة بين أمريكا وبين تحالف الشمال، فكان الطرفان يريدان التخلص من نظام طالبان...، ولم يكن التخلص من نظامها ممكنًا إلا بمساعدة الجهات الخارجية.

ويقول المعارضون لهذا التوجه: «إنه لا شك أن نظام طالبان كان يعتمد على بعض الجهات الخارجية

إلى حد كبير، وكان تصورهم لحل المشكلة مع الأطراف الأفغانية الأخرى عسكرياً بحثاً، ومبتئياً على استسلام تلك الجهات لهم، لكن مع ذلك لم يكن يصح في العرف الشرعي، ولا في العرف الأفغاني أن يتعاون التحالف الشمالي مع الأمريكان لإسقاط

نظام طالبان؛ لأن المستفيد في مثل هذه الحالة هو الطرف الأقوى.

وُتسوّغ تلك الأحزاب مشاركتها في العملية السياسية بأن عدم المشاركة في السلطة كان يعتبر ترغماً للساحة للعلمانيين والمفسدين.

إن المفسدة التي تترتب على مشاركة هذه الأحزاب بقيادة الشخصيات التي قادت الجهاد ضد الاتحاد السوفييتي في السلطة في ظل الاحتلال الأمريكي، في ظل الجهود التي تبذلها أمريكا لتغريب أفغانستان- كل هذا يعطي الشرعية للاحتلال الأمريكي لأفغانستان، وإعطاء الشرعية للاحتلال مفسدة لا تساويها مصلحة». (٢٢)

### استراتيجية طالبان للعودة والسيطرة :

وفقاً لمعطيات الوضع في أفغانستان فإن الحاجة تشتد لدى طالبان لوضع استراتيجية واضحة المعالم

تتراوح بين التحالف والحياد والردع وغيرها للوصول إلى تحييد بعض الأعداء، والتعاون مع ذوي التوجهات المقاومة لتعظيم نتائج المقاومة، وحصر دائرة الصراع الأساسية مع الاحتلال.

وربما أدت طريقة عمل طالبان المنفردة لعملية حشد للأعداء ضدها، وهو خطأ كبير من حيث فتح العديد من الجبهات المعادية، والحكمة تقتضي تحديد الأولويات في ظل محدودية الإمكانيات وكثرة التحديات، ما يستدعي العمل على تبني استراتيجيات تعكس ترتيباً صحيحاً للأولويات، وتضمن تماسك الجبهة المقاومة، وحصر دائرة الصراع مع الاحتلال. كما أن الدخول في توافق استراتيجي مع الفصائل المقاومة يقلل من احتمالات نجاح عمليات اختراق المقاومة أو إضعافها.

ويحتاج توحيد الصف ضرورة ألا تتحول الاختلافات بين الفصائل إلى ألوان من الصراعات التي تستنزف ثمار المقاومة، ما يستلزم الاستعداد لفتح قنوات اتصال مع القوى الأفغانية المؤثرة، والسعي لتكوين جبهة موحدة تضم الفئات المعارضة للاحتلال، وتوزيع أعمال المقاومة الشاملة عليها. وهي بهذا تضمن تجاوز أحد أهم العقبات التي واجهتها مسبقاً المتمثلة في الاتهام بالانعزال.

#### - تنشيط الجانب الإعلامي:

يمثل الإعلام في المرحلة القادمة للمواجهة أهمية خاصة للمقاومة على المستوى الداخلي والخارجي، وتمثل هذه الأهمية في محورين أساسيين:

الأول: دعم ما حققته طالبان والمقاومة من إنجازات، وضمن تجدد روافد الدعم للمحافظة على مؤشر الصعود، وتقديم غطاء شعبي للمقاومة، خاصة في حال توسع تحركاتها عسكرياً وسياسياً، والذي يتطلب نوعاً من التأييد الجماهيري، مع التأكيد الإعلامي على أهمية المقاومة، والحرص على رسم صورة جيدة للمقاومين في أذهان الشعب.

الثاني: كشف الاحتلال ومخططاته التي تهدف

المشروع الأمريكي في أفغانستان، والذي يتحرك أيضاً على عدة محاور عسكرية وسياسية وإعلامية. والتحرك الواعي الذي يتجاوز بشمولية مجرد الفعل العسكري يتحقق عن طريق تشكيل هيئات وطنية في المناطق التي تقع تحت سيطرة طالبان تشرف عليها كوادر من الحركة، وتضم عناصر ورموز من تيارات شتى تحظى بوجاهة قبلية أو جهادية يجمعها رفض الاحتلال، وتتولى - في ظل غياب تأثير الحكومة العميلة - إدارة شئون تلك المناطق التي تقع تحت سيطرتها أمنياً واجتماعياً وتعليمياً، وتمثل غطاءً شعبياً مؤيداً لطالبان من جهة، وضمناً لاستقرار متدرج للأوضاع في الأراضي التي تسيطر عليها الحركة، كما أن تلك التجربة عند نجاحها قد تمثل نموذجا يُعري بقية المناطق بقبول سيطرة طالبان، أو التعاون معها لتجاوز مرحلة عدم الاستقرار الذي تعاني منه.

ولمواجهة عملية التغريب التي بدأها الاحتلال، تبرز أهمية تشييط العمل الاجتماعي والدعوي العام لمنع انتشار الفساد الخلقي والاجتماعي في أوساط الناس، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق الأنشطة الاجتماعية، وعن طريق تفعيل دور المساجد، وإيجاد الجمعيات الصغيرة المحلية.

وهذا الدور قريب الشبه بما قامت به طالبان بنجاح، وهي في طريقها للاستيلاء على السلطة عام ١٩٩٦، وهي بهذا التنسيق تضمن التوازن بين الصعود العسكري، والصعود السياسي والدعم الشعبي بما يقلل من احتمالية نشوب حرب أهلية في حال انسحاب الاحتلال.

- توحيد الصف وحصر دائرة الصراع: تحتاج المرحلة المقبلة للمواجهة جاهزية فصائل المقاومة لتكون على مستوى عالٍ من الواقعية والعملية؛ إذ من الصعوبة بمكان قيام فصائل واحدة من فصائل المقاومة بمفردها بمواجهة كامل التحديات التي أفرزها واقع الاحتلال لضخامتها، ما يستدعي من طالبان العمل على استخدام تكتيكات متنوعة مع الفصائل الأفغانية،

قوة الترابط بين عناصرها، وقد يكون من المناسب حينها إتاحة الفرصة لباكستان ذات العلاقات القديمة مع طالبان - والتي أضر سقوط طالبان بمصالحها الاستراتيجية في أفغانستان - للقيام بدور الوسيط أو المهندس لعملية الاحتواء لبعض قادة طالبان لكسبهم وضمّان ولائهم، في مقابل عرض يسمح بعودة طالبانية، ولكن هذه المرة بوجه مختلف أكثر مرونة، يضمن الحد الأدنى من المصالح الأمريكية بأفغانستان، ويقبل بإبعاد خطر القاعدة.

ورغم أن هذا السيناريو صعب التنفيذ؛ لتماسك الصف الطالباني، وصعوبة اختراقه للدرجة التي أفشلت محاولات شبيهة سابقة، إلا أن هذا السيناريو يبقى مطروحًا كخيار للخروج من هذه الأزمة المعقدة التي تواجه الحكومة العميلة، التي لا تستطيع أن تتجاوز طالبان في أي تسوية مقبلة؛ بسبب الوضع القبلي والعسكري المتميز لطالبان.

ويقوِّي هذا السيناريو المحتمل رفض بعض قادة طالبان - أثناء فترة حكمها - لتحركات ابن لادن وأنشطته؛ حيث كانوا يرون «أن نشاط أسامة المعادي للقوى الدولية والإقليمية سيؤدي إلى عزلة نظام طالبان سياسيًا، وانقطاعه عن المجتمع الدولي». (٢٣)

### خاتمة:

إن كان ميزان القوة العسكرية يميل بوضوح لصالح قوات الاحتلال في أفغانستان، إلا أن مفهوم القوة التي من شأنها حسم الصراعات والحروب يتعدى دائرة القوة العسكرية إلى الكثير من دوائر القوة الأخرى، التي لو وُضعت في الاعتبار ربما غيّرت الموازين بين الأطراف المتصارعة، وعلى رأسها قوة الإرادة ومدى القدرة على الصمود والتحمل، والاستعداد للتضحية، ورسوخ القناعة لدى أطراف الصراع بسلامة أهدافهم من جانب، والقدرة على تحقيقها من جانب آخر، وهو ما يبدو أنه يرجح كفة طالبان. وإذا كان من الصعب عسكريًا على طالبان تحقيق

لتغريب المجتمع الأفغاني؛ وتسليط الضوء على حصاد سنوات الاحتلال، وما أدى إليه من تدهور الأوضاع الاقتصادية والأمنية والاجتماعية، وتسليط الأضواء على الممارسات الخاطئة للاحتلال، وتصحيح الصورة السلبية لدى الرأي العام العالمي المتأثر بزيف الدعاية الأمريكية السيئة عن طالبان.

## سيناريوهات أمريكية محتملة لمستقبل أفغانستان:

### ١- سيناريو الحرب الأهلية:

مع تصاعد خسائر الاحتلال، وعدم تمكن أمريكا من وقف نزيف خسائرها في أفغانستان مع عدم القدرة على تحقيق إنجازات مما سبق وأعلنته، يكون من المتوقع أمريكيًا للخروج من الأزمة الأفغانية إيصال الوضع إلى حالة من الفوضى، وإشعال فتيل الاقتتال الداخلي لإعادة البلاد للحرب الأهلية عن طريق دعم الفصائل المتناحرة عسكريًا، وإثارة النزعات الطائفية، وإدخال البلاد مارثون «طويل المدى» بين زعماء الفصائل المسلحة للحصول على مناطق نفوذ، ليصل الوضع في النهاية إلى حالة من عدم الاستقرار لفترة طويلة، يصعب معها على طالبان السيطرة على مجريات الأحداث أو الوصول للسلطة؛ مما قد يمثل متنفسًا لأمريكا، وضمّان مستقبلية لتجنب خطر صعود طالبان وعودتها للسلطة، ولو إلى حين. ويبرز في هذا السيناريو أهمية الدور المتوقع لبعض حلفاء أمريكا في المنطقة المحيطة بأفغانستان، والذين من مصلحتهم إدخال أفغانستان في دوامة من العنف ووقف التمدد الأصولي.

### ٢- سيناريو الاختراق:

اختراق الصف الطالباني عن طريق اجتذاب «المعتدلين» من طالبان، ودمجهم في العملية السياسية لخلق الصف، وإضعاف المقاومة الطالبانية بإفقادها واحدًا من أهم عوامل ثباتها؛ والمتمثل في

### الهوامش:

- (١) تصاعد العمليات المسلحة لحرية طالبان، الجزيرة «بتصرف»، تاريخ الحلقة: ٢٨ / ٤ / ٢٠٠٦.
- (٢) تقرير دولي يتوقع تزايد هجمات «طالبان» ضد قوات «الناو» صحيفة البيان، الإثنين ٥ يونيو ٢٠٠٦، ٩ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ.
- (٣) [http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/09/17/AR2006091700570\\_pf.html](http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/09/17/AR2006091700570_pf.html)
- (٤) في خضم المواجهة: طالبان تضرب بقوة في أفغانستان: بقلم علي عبد العال: مجلة العصر ٩ / ٢ / ٢٠٠٦.
- (٥) لماذا استعادت «طالبان» سطوتها القتالية؟ أنتوني دايلان، المركز الدولي لدراسات أمريكا والغرب ٢٣ / ٣ / ٢٠٠٦.
- (٦) الدول المانحة تتعهد بتقديم مليار دولار إلى أفغانستان، بي بي سي عربي، ٣١ / ١ / ٢٠٠٦.
- (٧) تقرير لمعهد الولايات المتحدة للسلام، نوفمبر ٢٠٠٦ (www.usip.org).
- (٨) قائد قوات الناو في أفغانستان: ٧٠٪ من الأفغان سيتحولون لمساندة طالبان ما لم تتحسن ظروف معيشتهم خلال الشتاء، الأهرام، ٩ / ١٠ / ٢٠٠٦.
- (٩) أضربت النيران بعدد من مراكز الشرطة وساحة البرلمان، ورفع المتظاهرون شعارات منددة بالوجود الأمريكي «الموت لأمريكا» وحكومة قرضاي، وهو مؤشر خطير ضد قوات «التحالف» والحكومة الأفغانية.
- (١٠) المهمة الفاشلة للسيطرة على المقاومة الأفغانية (٢٠٠٢)، مجلة العصر، ٢١ / ١١ / ٢٠٠٥.
- (١١) لكل من فرنسا وألمانيا وإيطاليا وأسبانيا قوات منتشرة في المناطق التي تقل فيها سخونة العمليات العسكرية في شمال وغرب أفغانستان، إضافة إلى بعض المناطق حول كابول. غير أن هذه الدول عبرت خلال قمة حلف «الناو» التي عقدت في العاصمة اللاتفية ريجا، عن ترددها في نشر قواتها في المناطق الجنوبية الأشد خطراً.
- (١٢) [http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/09/17/AR2006091700570\\_pf.html](http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/09/17/AR2006091700570_pf.html)
- (١٣) <http://www.telegraph.co.uk/news/main.jhtml?xml=/news/2006/09/19/utaliban.xml>
- (١٤) التحول في استراتيجيات حلف الناو، مجلة الحرس الوطني.
- (١٥) طالبان تنفي إجراء محادثات سرية مع قوات الناو، الجزيرة نت، الجمعة ١ / ٨ / ١٤٢٧ هـ - الموافق ٢٥ / ٨ / ٢٠٠٦ م.
- (١٦) وزير الدفاع البريطاني يعترف بشراسة المقاومة بأفغانستان، الجزيرة نت، الثلاثاء ٢٦ / ٨ / ١٤٢٧ هـ - الموافق ١٩ / ٩ / ٢٠٠٦ م.

نصر كبير يجبر قوات الاحتلال في ظل الوضع الحالي على انسحاب قريب، إلا أنه من الصعب أيضاً على الاحتلال أن يتحمل مزيداً من الخسائر إلى ما لا نهاية.

وبالنظر في المعطيات السابقة وما آل إليه المشهد الأفغاني يمكن أن نستشرف ما قد يؤول إليه الحال في أفغانستان، من تزايد هجمات رجال المقاومة، واستمرار تصاعد النفوذ الطالباني سياسياً وعسكرياً، وزيادة الخسائر في قوات الاحتلال ما يعني اهتزاز الوضع الأمني الرخو في الأساس، وتراجع قوي لمخططات الاحتلال وفشل أهدافه، وزيادة اعتماده على القوات الحليفة التي لا تستطيع تقديم تضحيات كبيرة، وتحمل مزيد من الخسائر دون وجود نجاحات تذكر؛ يمكن بها إقناع شعوب تلك الدول بإطالة فترة البقاء في أفغانستان، ما يعني حتمية الانسحاب في المدى زمني يصعب التنبؤ بقربه في ظل خطورة النتائج المتوقعة لمثل هذا الانسحاب، وتأثيره على تماسك الجبهة الدولية لمحاربة الإرهاب، وتأثيره على وضعية أمريكا الدولية وخططها للهيمنة.

ومع بقاء معطيات المشهد الأفغاني كما هي تصب في غالبها في صالح المقاومة، يمكن التأكيد على فشل المشروع الأمريكي في أفغانستان؛ لتجاوزه معطيات الثقافة والتاريخ والجغرافيا الأفغانية، ومحاولته الالتفاف على واقع أفغانستان لاستنبات مفاهيم تصبدم بالبيئة الأفغانية المحافظة.

ويبقى أن مسألة انسحاب قوات الاحتلال أصبحت حتمية، لا يمنع منها سوى محاولات يائسة للاحتلال قد تستغرق بعض الوقت لتحسين الصورة أو تحقيق أية مكتسبات.

- (١٧) في حديث لقناة تليفزيونية خاصة قال «فضل الرحمن» النائب البرلماني الباكستاني: إن «المجتمع الدولي يجب أن يعترف أن طالبان هي القوة الكبرى في أفغانستان، وأن أي تحرك من أجل استعادة الهدوء سيكون بلا جدوى ما لم يتم ضم طالبان إليه». فضل الرحمن: لا سلام بأفغانستان دون محادثات مع طالبان، مفكرة الإسلام، ٢٢/١١/٢٠٠٦ م.
- (١٨) قوات الناتو في أفغانستان تتهم المخابرات الباكستانية بدعم طالبان، الأهرام، السنة ١٣١، العدد ٤٣٧٦٩، ١٤ رمضان ١٤٢٧هـ، ٧/١٠/٢٠٠٦ م.
- (١٩) حقيقة الغزو الأمريكي لأفغانستان، د. مصباح الله عبد الباقي، الفصل الثاني، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى ٢٠٠٥.
- (٢٠) استراتيجية التنسيق بين طالبان والقاعدة، الوطن العربي، العدد ١٥٢٢.
- (٢١) واشنطن تحصر الحرب على الإرهاب في مكافحة القاعدة، الجزيرة نت، ٤/٧/١٤٢٧هـ - ٢٩/٧/٢٠٠٦م.
- (٢٢) حقيقة الغزو الأمريكي لأفغانستان، بتصرف، د. مصباح الله عبد الباقي، الفصل الخامس، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى ٢٠٠٥.
- (٢٣) المرجع السابق.

## معلومات إضافية

### أفغانستان تاريخ طويل:

- الاسم الرسمي: دولة أفغانستان الإسلامية.
- العاصمة: كابول، ٢٠٢٩، ٢ مليون نسمة.
- المدن الرئيسية: كندهار، حيرات، مزار الشريف، جلال أباد.
- المساحة: ٢٥٠ ألف ميل مربع (٦٤٧٥٠٠ كم<sup>٢</sup>).
- السكان: ٢٥,٨٢٥ مليون نسمة.
- اللغات: البوشتو، داري الفارسية، الأفغانية، ولغات أخرى.
- الديانة: الإسلام (٨٥٪ سنون، ١٥٪ شيعة).
- معرفة القراءة والكتابة: ٣١,٥٪.
- التقسيمات الإدارية: ٣٢ مقاطعة.
- الاقتصاد: العملة: أفغاني، ويساوي ١٠٠ بل.
- إجمالي الناتج المحلي: ١٩,٣ مليار دولار.
- الأراضي الزراعية: ١٢٪.
- المنتجات الرئيسية: القمح، القطن، الفواكه، الياميش، الصوف.
- الثروة الحيوانية: الضأن ٣,١٤، الماعز ٢,٢ مليون، الأبقار ١,٥ مليون، الدواجن ٢,٧ مليون.
- موارد أخرى: صوف، جلود كراكول، لحم الضأن.
- إنتاج الكهرباء: ٤٨٥ مليون.
- الصادرات: الفواكه الطازجة والمجففة، الغاز الطبيعي، السجاد.
- الواردات: المنتجات البترولية والمواد الغذائية.
- الشركاء التجاريون: أوروبا الشرقية، رابطة الدول المستقلة، اليابان، الصين.

• **جغرافيا البلاد:** بلد داخلي: تحدها من الشمال جمهورية تركمنستان وأوزبكستان وطاجكستان، وفي أقصى الشمال الشرقي الصين، وفي الشرق والجنوب باكستان، وفي الغرب إيران. وهي بلد جبلي تقسمه جبال هندوكوش الممتدة من الشرق إلى الغرب. والجنوب الغربي صحراء، وتغطي الجبال معظم البلاد، وتعلو قممها الجليد، وتقطعها الوديان العميقة، وفي الشمال الغربي وادي حيرات الخصيب.

• **المناخ:** قاري، الشتاء قارص يزيد الارتفاع من حدة برودته، والصيف دافئ، ومعظم الأمطار تسقط في الربيع والخريف.

• **التاريخ:** تحتل البلاد موقعًا استراتيجيًا بين رابطة الدول المستقلة (CIS) والصين وكشمير وباكستان وإيران؛ ولذا تلقت مساعدات كثيرة للتنمية من الولايات المتحدة، ومن الاتحاد السوفيتي، وكانت إنجلترا تنظر إليها على أنها الجسر الذي يربط بين الهند والشرق الأوسط، لكنها فشلت في السيطرة عليها؛ رغم قيامها بسلسلة من الحروب الأفغانية كان آخرها عام ١٩١٩م.

كان داريوس الأول والإسكندر الأكبر أول الغزاة الذين استخدموا أفغانستان كبوابة للهند، وفي القرن السابع وصل إليها الفاتحون المسلمون، وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر جاء إليها جنكيز خان وتيمور لنك.

وفي القرن التاسع عشر كانت أفغانستان مسرحًا للعمليات الحربية في الصراع بين الإمبراطورية البريطانية وروسيا القيصرية من أجل السيطرة على آسيا الوسطى، وقاد دوست محمد، ومن بعده ابنه، ثم حفيده حربين ضد بريطانيا في النصف الأول، وفي النصف الأخير من القرن التاسع عشر، لكن أفغانستان استردت الحكم الذاتي بمقتضى الاتفاقية الإنجليزية الروسية في عام ١٩٠٧، ثم حصلت على استقلالها التام بمقتضى معاهدة روالبندي في عام ١٩١٩، وفي عام ١٩٢٦ قام الأمير أمان الله بتأسيس المملكة الأفغانية وراح يعمل على تحديثها.

كان آخر ملوكها محمد ظاهر شاه الذي ظل يحكم البلاد من عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٧٣، عندما أطاح به انقلاب عسكري بقيادة الفريق محمد داود خان، الذي حوّل البلاد إلى جمهورية، ونصّب نفسه رئيسًا لها، لكن أُطيح به في انقلاب ١٩٧٨ بقيادة نور توكي الذي حاول إقامة دولة ماركسية في أفغانستان بمساعدة الاتحاد السوفيتي، لكن ذلك لقي مقاومة مسلحة من المعارضة الإسلامية.

وفي النهاية تولى بيراك كرمل الحكم خلفًا لتركي، ودعا كرمل القوات السوفيتية إلى دخول البلاد في ظل معاهدة دفاع مشترك.

وفي ديسمبر ١٩٧٩ قام الاتحاد السوفيتي بغزو البلاد، لكنه لقي من أهلها مقاومة شرسة لم يكن يتوقعها أحد، ونتج عنها حرب دموية، كان على الجنود السوفيت أن يقاتلوا رجال



القبائل الذين سمو أنفسهم «المجاهدين»، وفي بداية القتال كان كثير من المجاهدين مسلحين بالبنادق، لكنهم حصلوا فيما بعد على أسلحة حديثة، ومنها الصواريخ التي استخدموها في مهاجمة المنشآت السوفيتية.

وفي أبريل ١٩٨٨ وقّع الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وأفغانستان وباكستان اتفاقيات تدعو إلى وقف المساعدات الخارجية إلى الطوائف المتحاربة؛ وذلك في مقابل انسحاب السوفييت من البلاد بحلول عام ١٩٨٩، وهو ما تم في فبراير ١٩٨٩، وتركت القوات السوفيتية وراءها القوات الحكومية عُرضة لهجمات المجاهدين المتزايدة.

وفي عام ١٩٩٢ أطاحت قوات المجاهدين بالحكومة، وأقام المجاهدون حكومة جديدة في كابول، لكن اندلع القتال بين طوائف المجاهدين مما تعذر معه قيام حكومة فعّالة في البلاد؛ وتفتت البلاد إلى أقاليم قبلية، إلى أن تمكنت «طالبان»، وهي طائفة إسلامية سلفية أصولية، وفرضت على البلاد أعراف وتقاليد الحكم الإسلامي، وفي شمال البلاد يوجد زعماء مناوئون لحركة طالبان.

حققت طالبان الانتصارات في المدن الشمالية: في مزار الشريف وطالوقان في أغسطس ١٩٩٨، مما أعطى لطالبان السيطرة على أكثر من ٩٠٪ من البلاد، وأثناء الاستيلاء على مزار الشريف قتل عدد من الدبلوماسيين الإيرانيين مما زاد من حدة التوتر مع إيران، وفي ٢٠ أغسطس ١٩٩٨ ضربت الصواريخ الأمريكية الموجهة جنوب شرق مدينة كابول؛ حيث زعمت الولايات المتحدة وجود معسكرات لتدريب المجاهدين يديرها رجل الأعمال السعودي الشهير أسامة بن لادن.

• أفغانستان عضو في الأمم المتحدة.

أفغانستان، معجم بلدان العالم (بتصرف)،  
محمد عتريس، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٢ ص ٣٢، ٣٣

### تقرير لمعهد الولايات المتحدة للسلام عن الوضع في أفغانستان:

\* عندما دخلت الولايات المتحدة أفغانستان منذ خمس سنوات من عام ٢٠٠١، تركز هدفها على العمليات العسكرية، وضرب تنظيم القاعدة، ولم يكن لديها خطط تهدف إلى إعادة البناء، وفي عام ٢٠٠٤ وضعت خطة مشتركة بين وزارة الخارجية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID) بهدف إعادة بناء أفغانستان، لكن ظلت الخطوات العملية محدودة للغاية، وعلى سبيل المثال، بالمقارنة مع إنفاق ١٣٠ مليون دولار لإجراء الانتخابات، فإن من ٨ إلى ١٠ ملايين دولار المخصصة حاليًا لا تكفي بالمرّة لتطبيق الديمقراطية في شعب تعداده ٣٠ مليون.

\* بعد مرور خمس سنوات على احتلال أفغانستان، وسقوط حكومة طالبان، يبدو أن حكومة قرضاي والمجتمع الدولي يخسران معركة الثقة مع الشعب الأفغاني، وهناك عدة مؤشرات مهمة على هذا التقييم:

- زيادة كبيرة في العمليات «الانتحارية» (حسب تعبير التقرير).

- تصاعد الكراهية لدى المواطن الأفغاني تجاه الغربيين.

- تضاعف أعداد المواطنين الأفغان المترددين بين تأييد طالبان أو تأييد الحكومة.

وإزاء هذه المؤشرات على الولايات المتحدة أن تدفع بقوة نحو تثبيت وضع الحكومة الأفغانية ومنحها الشرعية، وذلك بضخ موارد، وبناء مؤسسات يمكنها تقوية حكومة قرضاي واكتساب ثقة الشعب الأفغاني.

\* الوسائل العسكرية والأمنية ليست هي الحل في التعامل مع الوضع في أفغانستان، وإنما يتجسد الحل الأساسي في إيجاد مناخ مستقر سياسيًا وأمنيًا، وذلك أولاً بإتاحة الفرصة أمام التطور السياسي والتنمية الاقتصادية، وأن تمتلك حكومة قرضاي الشرعية، ثم بتوجيه الاهتمام الكافي إلى المؤسسات والأجهزة المعنية بالحفاظ على الأمن، مثل القضاء والشرطة، وأبرز هذه الأطراف كل من باكستان وإيران؛ إضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

من أبرز الاحتياجات التي ينبغي توفيرها في أفغانستان، أن يصل الدعم المادي والعيني إلى مختلف المناطق الأفغانية، فمن ناحية لم تتمكن حكومة حامد قرضاي بعد من فرض سيطرتها على كافة المناطق الأفغانية، ومن ناحية أخرى لا يتاح للمنح والمخصصات المالية التي تتلقاها أفغانستان أن تصل إلى أهدافها؛ وذلك بسبب الفساد المالي والإداري، وتضخم دور البيروقراطية، والنتيجة هي نقص الخدمات الأساسية، وغيابها أحياناً عن كثير من المناطق الأفغانية.

تقرير لمعهد الولايات المتحدة للسلام:

UNITED STATES INSTITUTE OF PEACE

<http://www.usip.org>

نوفمبر ٢٠٠٦